أب ب

الشباب والعلم

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣].

هذه هي الخطبة الرابعة في سلسلة قضايا الشباب، تحدثنا لماذا هذه السلسة، وعن الشباب في القرآن الكريم، والشباب في حديث رسول الله ﷺ , وعنوان خطبة اليوم: الشباب والعلم.

وخطبة اليوم مؤلفة من مقدمة وفقرتين, ومباشرة إلى المقدمة.

أيها الإخوة: لا أجدني محتاجاً إلى أن أتلو عليكم كثيراً من آيات القرآن الكريم التي تدعو إلى العلم وتحث عليه وتثني على أهله، خاصةً وأن القرآن الكريم يتناول هذه الأمور في أكثرَ من ستمائة موضعٍ, ولكن حسبكم قولُ الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)﴾ [المجادلة:١١].

وحسبكم أن أول كلمة نزلت في هذا الدين من السماء ﴿اقرأ﴾ [العلق:1] والقراءة أهم وسائل العلم.

وكذلك أنتم في غنى عن قراءتي لكم مئات الأحاديث التي تبارك العلم والعلماء، ويكفيكم حديث أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ الذي يقول فيه:

«من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضىً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له مَنْ في السموات ومن في الأرض والحيتانُ في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وَرَّ ثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[1].

وبعد القرآن والسنة، لا أزيدُكم علماً إذا قلت لكم إن نهضة الأمم تقوم على العلم، وتُهْدمُ بالجهل.

---

(1) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (21715), وأبو داود في "سننه" برقم (3641), والترمذي في "جامعه" برقم (2682), وابن ماجه في "سننه" برقم (223)

العلمُ يرفع بيتاً لا عمادَ والجهل يهدم بيت العزّ

سجلوا عندكم هذه المعلومات:

البتَّاني مؤسس علم المثلثات، عباس بن فرناس باني أول طائرة، ابن الهيثم مؤسس علم البصريات التجريبي، ابن سينا مؤسس علم الجولوجية، أبو القاسم الزهراوي أبو الجراحة الأوربية، الإدريسي واضع أول وصف للكرة الأرضية، ابن البيطار أكبر عالم نبات، ابن النفيس مكتشف الدورة الدموية الصغرى، ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع، أبو بكر الرازي أول من وصف الجدري والحصبة وقال بالعدوى الوراثية, واستخدم الحيوان في تجارب الأدوية.

وكلُّ هؤلاء وغيرهم هم من المسلمين بل إن حاجي خليفة أورد في كتابه الموسوم بـ "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" ما يزيد على مائتين وأربعين علماً مبتكراً كعلم الجراحة وعلم التشريح, وعلم الفلك, وعلم الأحياء, وعلم الصيدلة, وعلم البيطرة, فضلاً عن العلوم الشرعية كالقرآن, والحديث, والفقه, والفرائض ونحوها.

الآن قارنوا هذه المعلومات بهذه المعلومات:

بنجامن روبن مخترع الإبرة الطبية، جوناس سالك مخترع لقاح شلل الأطفال، وليم غولف مخترع آلة غسيل الكلية، ستانلي منزور اخترع أول معالج كمبيوتر، بيتر شولدز اخترع أول كبل ألياف بصرية، تشارلز أدلر اخترع إشارة المرور الضوئية، إيميل برلاينر اخترع سماعة الهاتف، وكل هؤلاء، وغيرهم ليسوا من المسلمين.

بعد كل هذا، صار واضحاً لكل أخٍ فينا ولكل أختٍ لماذا نحن بحاجة إلى العلم؟ لأن القرآن يدعونا إلى العلم، ولأن النبي ﷺ يدعونا إليه, ولأن العلم هو واحد من أهم مواد نهضة الأمة.

الآن الفقرة الأولى:

العلم ثلاثة: علم بالله, وعلم بأمر الله, وعلم بخلق الله.

والعلم بالله يسمى "علمَ الحقيقة", وهو أن تتعلم وتتدرب كيف تقيم صلةً حقيقيةً مع الله عز وجل ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8)﴾ [الانفطار:7-8].

أن تذكره فلا تنساه، وأن تشكره فلا تكفره، وأن تطيعه فلا تعصيه.

وإلاّ فمن ربح الكونَ كلَّه وخَسِرَ ربه ماذا استفاد؟

إلهي ماذا وجد من فقدك، وماذا فَقَدَ من وجدك؟!

أما العلم بأمر الله فهو ما يسمى "علم الشريعة" , وهو أن تعرف أوامر الله ونواهيه، أن تعرف حلاله وحرامه، أن تعرف قرآنه وسنةَ نبيّه ﷺ . فإذا غاب الشرع عن العلم أَفسَد بدل أن يصلح, وخَرَّب بدل أن يُعَمِّر.

أما العلم بخلق الله فهو مايسمى: "العلوم الكونية" أو "العلوم الطبيعية".

يقول "جود" وهو مؤرخ وباحث انكليزي معاصر: إن العلوم الطبيعية قد منحتنا القوة الجديرةَ بالآلهة، ولكننا نستعملها بعقل الأطفال والوحوش.

ويقول في موضع آخر من كتاب له بعنوان "uide To Modern Wickedness"

إن هذا التفاوت بين فتوحاتنا العلمية المدهشة وطفولتنا الاجتماعية المخجلة، نواجهه على كلِّ منعطفٍ ومنفرج، نستطيع أن نتحدث من وراء القارات والبحار, ونرسل الصور بالبرق, ونستمع في " سيلان " إلى دقات Big Ben تضرب في لندن، ونركب فوق الأرض والبحر وتحتهما, وتُمْلأُ الأسنان من غير إيجاع، والزروع تنمى بالكهرباء، والشوارع تفرش بالمطاط, وأشعة رونتجن X Ray نوافذ نطل منها على داخل أبداننا، والصور المتحركة تتكلم وتغني، والغواصات تذهب إلى القطب الشمالي, والطائرات تطير إلى القطب الجنوبي، ومع ذلك كله لا نقدر في وسط مدننا الكبرى أن نرعى أطفال الفقراء، قال لي فيلسوف هندي: إنكم تقدرون أن تطيروا في الهواء كالطير, وتسبحوا في الماء كالسمك، ولكنكم إلى الآن لا تعرفون كيف تمشون على الأرض كالبشر.

إن العلم هو الذي جاءنا بالقنبلة الهيدروجينية, والنووية، والذرية والانشطارية، والعنقودية.

أيها الإخوة: إن العلم يعلمك كيف تصنع الآلات والمحركات, لكن الدين والشرع هو الذي يعلمك كيف تستعملها فيما يُسعدك ويسعد الآخرين.

فالعلم ثلاثة: علم بالله (علم الحقيقة), وعلم بأمر الله (علم الشريعة), وعلم بخلق الله وهو (العلوم الكونية التطبيقية).

فيا أيها الشباب, نحن بحاجة إلى كلِّ علم ننفع به أمتنا وأهلنا وأنفسنا وديننا؛ لأن نهضة أمتِنا وبلادِنا لن تقوم إلا على هذا العلم: العلم بالله، والعلم بأمر الله, والعلم بخلق الله.

وأنتم –أيها الشيوخ والكهول– ادعموا شبابنا المتعلم، ادفعوهم نحو العلم، تبنُّوا عباقرة الشباب ادعموهم مالياً ومعنوياً واجتماعياً فإن المؤسسات التجارية الكبرى في الغرب هي التي تدعم الأبحاث العلمية –كما تعلمون– ، هي التي تحتضن العلماء الشباب، هي التي ترعاهم وتكتنفهم.

وأنت أيها التاجر الكبير مأجور برعايتك لكل عالم بالله أو عالم بأمره أو عالم بخلقه ما دمت ترجو بذلك رضا الله ونفع الناس.

الفقرة الثانية:

كتب بعض الدعاة ملاحظات سريعة للشباب حول العلم:

1– العلم الذي نرتزق منه وكفى، ليس إلا حرفةً من الحِرَف.

2– العلم إن لم تعطه كلك لم يعطك بعضه.

3– العلم الذي يجعلك تتيه على الآخرين ما هو إلا نوع من الغرور.

5– العلم الذي يسعى لتدمير الإنسان والفتك به، نوع من الجريمة.

6– العلم الذي لا يتصل بما ينفعنا في ديننا ودنيانا نوع من الترف المذموم.

7– الشهادة التي تنالها من جامعتك ما هي إلا مفتاحُ العلم، وليست العلم.

قد ضَلَّ من حسب إن الشهادة مِقْبَضُ المفتاح

8– العالم والمتعلم شريكان في الأجر، ما دام العالم يعلم الآخرين ولا يَضنُّ بعلمه عليهم, وما دام المتعلم يحترم معلمه وما يأخذهُ منه.

9– عالم واحد بالله, وبأمره, وبخلقه, أشدُّ على الشيطان من ألف عابد.

10– العلم والصبر توأمان.

وقد قيل: (**تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرتَه تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قُرْبَة؛ لأنه معالم الحلال والحرام, ومنارُ سبيل الجنة، والأنيس في الوحشة, والصاحب في الوحدة، والمُحَدِّث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء, والزين عند الأخلاء، والقرب عند الغرباء, ويرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة**)[1].

---

(1) عزاه السيوطي في "جامع الحديث" لابن لال ولأبي نُعيم عن معاذٍ ﷺ موقوفاً, وأخرجه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" 1/235 برقم (219) مرفوعاً ثم قال: هو حديث حسن جداً ولكن ليس له إسناد قوي, وأخرجه الديلمي برقم (2237).

والحمد لله رب العالمين